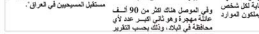

بهرا الضياء

العدد 399 – الأحد 2 ايلول 2007م- 6757 آ

Bahra No. 399 Sun. 2 Sep 2007

الرها تتألق في مهرجان بصرى الدولي التاسع عشر

إعلام المهرجان: الرها تحافظ على الهوية السريانية التي تمتد جذورها الى أكثر من ستة آلاف سنة

كميل شمعون من بصرى الشام

ماذا حصدت الرها؟.. ماذا حققت بعد سلسلة من المشاركات الكبيرة خارج المحافظة مع فرق فنية عالمية؟.. كانت آخرها مشاركتها في مهرجان بصرى الدولي التاسع عشر 16 – 25 آب 2007، بدعوة من مديرية المسارح والموسيقا التابعة لوزارة الثقافة السورية مع فرق فنية قادمة من أسكتلندا وايطاليا والنمسا والبوسنة وبلغاريا وهنغاريا وبلجيكا والبرتغال وروسيا ومن بعض الدول العربية، على المسرح الأثري لبصرى والذي يعود تاريخ بنائه وفق الدراسات الآثارية الى منتصف القرن الثاني الميلادي، ويعد الأكثر اكتمالا وحفاظا على هيكله بين المسارح الأثرية المتبقية من العالم القديم، وهو بالأضافة الى ذلك من المسارح القليلة التي تعد جزءا من قلعة، ويتسع مدرج بصرى لأكثر من خمسة عشر ألف متفرج.

إن الأجابة عن ذلك تكمن بلا شك بما قدمته الرها وتقدمه من فن سرياني في المحافل الفنية والثقافية العالمية تجعل القائمين على تلك المحافل يقيمون حصاد الرها وما حققته، وليس نحن كإعلام كلدوآشوري سرياني هذه المرة. ولكن تلك الإجابات والتقييمات التي صدرت عن مهرجان بصرى وما قبله والقائمين عليه، والتي سنوردها لاحقاً، ربما ستعطينا مصداقية إضافية كإعلام في تقييماتنا السابقة لما آلت اليه الرها وما تمثله فنيا وثقافيا وإجتماعيا.

فعلى مسرح بصرى الأثري كانت الرها في حضرة العراقة والتاريخ، كانت على مسرح تاريخي. يعبر عن تواصل إنساني وفكري لم ينقطع، وعبرت الرها من خلاله بجدارة عن تواصل ثقافي وعطاء حضاري لأمة سادت ثقافتها أزمانا طويلة في أرجاء العالم القديم وحتى بدايات وأواسط الجديد.

فقد باتت هذه المؤسسة تختزل ذاكرة شعب وروح أمة. وتمثل هوية وإنتماء لشعب باتت من أسباب نهوضه، وقد اتضح ذلك وفي أنصع تجلياته من خلال التعليقات الإعلامية لإعلام مهرجانات تدمر وإدلب وآخرها بصرى الذي نحن بصدده الان. فقد تم تقديم الرها فيه للجمهور بهذه العبارات :

(تأسست الرها عام 1994 بالقامشلي، تصور فرقة الرها باعمالها الفلكلورية الجمال والأرض والإنسان، المستمدة من طبيعة بلادنا الجميلة بطقوسها الإجتماعية والتاريخية وتقديمها بنظرة عصرية، وتهتم هذه الفرقة بالفن السرياني بمختلف أشكاله وألوانه وتساهم في تطويره بما يتلاءم مع التطور الحضاري والإجتماعي والثقافي للعصر مع الحفاظ على الهوية السريانية التي تمتد جذورها الى أكثر من ستة آلاف سنة.. نتركك الآن مع فرقة الرها للفنون الشعبية بقيادة المدير الفني الفنان جورج قرياقس).

وقد تم افتتاح هذا المهرجان برعاية السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور محمد ناجي عطري، وأستهلت فعالياته بكلمة ألقاها الدكتور عجاج سليم مدير المسارح والموسيقا (مدير المهرجان)، وكلمة السيد فيصل كلثوم محافظ درعا، وكلمة وزير الثقافة ألقاها الدكتور رياض نعسان آغا، وفنيا بلوحة فنية معبرة (بانوراما سورية) لفرقة كنانا للرقص الشعبي، التي تمكنت من خلال كلمات ولغات الأغاني المرافقة للوحات من التعبير عن كافة ألوان الطيف السوري.

وقدمت الرها في هذا المهرجان باقة من أجمل لوحاتها الفلكلورية مدة ستة وثلاثين دقيقة لتتألق مجددا على المسرح التاريخي لبصرى، وأمام مدرج أثري كان يتمايل مشاهدوه في تلك اللحظات مع عروض الرها تشجيعاً وتفاعلا مع الإيمائيات الروحية التي بدوا معها وكأن كل آلهة سومر وأكد وبابل وآشور كانت ترفرف فوقهم، فكان مشهد المدرج مع المسرح يكون لوحة متكاملة لتواصل ثقافي وتفاعل فكري للرها مع وطن نهائي هي جزء منه وابناؤه جزء منها.

وعلى هامش هذا المهرجان الدولي كانت لنا وقفة قصيرة مع الدكتور عجاج سليم مدير المسارح والموسيقا في سوريا بعد منحه هدية المهرجان لفرقة الرها متمثلة بالفنان جورج قرياقس، وسألناه عن رأيه بالمستوى الفني للرها فأجاب "إن الرها تشارك اليوم في هذا المهرجان الدولي مع فرق قادمة من كافة أنحاء العالم، ومن ضمن أربعين فرقة للفنون الشعبية في سوريا وقع الاختيار على اربعة فقط من ضمنها الرها للإشتراك في تقديم عروض في هذا المهرجان، وقبل أيام حازت الرها على الدرجة الأولى على مستوى سوريا في مهرجان إدلب الخضراء. واظن إن ذلك كله يعبر بالتأكيد عن المستوى الذي بلغته الرها).

وان ما بلغته الرها ليس وليدة لحظة أو موجة عابرة، بل هو وليد مدرسة فنية تمتلك آليات عمل فاعلة وناجحة على كافة الصعد، ثقافية وفنية وإجتماعية وإعلامية وعلاقات، بالإضافة الى التضحيات الفردية والجماعية التي يقدمها هؤلاء الرهاويون والتي ربما لن يحصها الا من كان قريباً منهم، فعلى مدى ثلاثة ايام رافقناهم كإعلام لاحظنا الجهد الهائل الذي يبذلونه من أجل الصعود والنجاح، فقد حولوا ردهات فندق (القيصر) الذي حلوا فيه ونحن معهم الى غرفة عمليات متواصلة العمل كخلية نحل، ولاحظنا الإنضباط والألفة والمحبة التي تجمعهم على حب العطاء وضرورة النجاح في مثل هذه المحافل التي تجتمع فيها كل ثقافات العالم، والشعور بأن هناك في الحسكة والخابوروالقامشلي والقحطانية وما حولها من قرى نائية وفي كل اماكن تواجد ابناء شعبنا أطفالا وفتيان وفتيات وآباء وامهات وعجائز خلف شاشات التلفازوفي الحقول ينتظرون اخبارهم، كان هاجساً يلاحقهم حتى في الشرفات وخلف كواليس المسرح وكان شعوراً كبيراً بالمسؤولية، فهم باتوا حملة راية ويعبرون عن هوية وإنتماء ووجود.

كم مسيحياً بقي في الموصل؟

ميدل إيست أون لاين

تم تهديدهم بسبب معتقدهم المسيحي، بسبب لباسهم المميز، وبسبب نجاحهم في العمل والتجارة. وتم اغتيالهم بسبب الجدل حول الرسوم الكارتونية. هربوا الى كل مكان يجدون فيه الحد الادنى من الامان والسلامة مثل كردستان العراق، سوريا، او مناطق الريف خارج المدينة.

يستطيع مسيحيو الموصل رواية القصص المروعة واحدة تلو الاخرى. كانوا يوما من الطبقات الوسطى المتمركزة في هذه المدينة الشمالية، هرب الآلاف منهم تاركين بيوتهم تحت تهديد المسلحين. تم تفجير كنائسهم وقتل قساوستهم بينما تعرض الكثير منهم الى التهديدات والاختطافات.

ان قصة مسيحيي الموصل لا تختلف عن قصص الملايين من العراقيين الذين يعيشون في دولة الخوف. لكن دينهم يجعلهم مقصودين ومستهدفين بشكل خاص في مدينة لا حضور فيها لحكومة ولا دور للقانون فيها حيث يسمح للعصابات الاجرامية والمسلحين الاسلاميين مثل جماعة القاعدة بالاعتداء والقتل دون خوف من العقاب.

وقالت إلهام صباح، المحامية المسيحية التي ترتدي الحجاب بسبب خوفها من القتل "اصبحت الحياة صعبة في الموصل. المسلحون يهددون النساء المسيحيات. انهم يقومون بحرقهن او قتلهن اذا رفضن ارتداء اللباس الاسلامي مثل ما تفعل النساء المسلمات".

وأضافت "امامنا خيار واحد هو ترك الموصل والجحيم الذي خلقه المسلحون".

وتعتبر الموصل عاصمة محافظة نينوى وهي موطن المسيحيين من الكلدان والاشوريين، والكنائس الارمينية والكاثوليكية منذ اكثر من مائة عام، الا انهم الان طردوا خارجها بالجملة.

وقال جوزيف كساب الذي هو اصلا من الموصل ويشغل الان منصب المدير التنفيذي للجمعية الكلدانية الاميركية "المسيحيون هم الاضعف الان في العراق".

واضاف "المتطرفون ناشطون بشكل فعال ويعملون على تفريغ الموصل من المسيحيين".

ولا توجد احصائية دقيقة وواضحة للتنوع السكاني في العراق. لكن معظم التقديرات تشير الى وجود ما بين 800 ألف الى مليون مسيحي في العراق في العام 2003.

ويشير التقرير الصادر في 2005 عن المفوضية العليا للاجئين التابعة للامم المتحدة حول الاقليات غير المسلمة في العراق الى ان اكثر المسيحيين هم من محافظة نينوى رغم وجود عدد لا يستهان به يعيش و يعمل في بغداد.

واشارت المفوضية في تقرير لها نشر العام الماضي ان حوالي 24% من اللاجئين في سوريا التي تحادد محافظة نينوى هم من المسيحيين.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك ما يقرب من 1720 عائلة مسيحية هجرت الموصل الى الارياف الاكثر امانا خارج نينوى، والآلاف من المسيحيين من بغداد واجزاء اخرى من العراق هاجروا الى الحقول والمزارع، بحسب احد اعضاء رابطة الدفاع عن حقوق الانسان المسيحية الذي رفض الكشف عن اسمه.

ويُعد المسيحيون (والكثير منهم مستثمرون ومهنيون ناجحون) من اوائل اللاجئين العراقيين.

وواجه قادة الاقلية المسيحية في محافظة نينوى المزيد من التهديدات بعد نشر الصحيفة الدنماركية العام الماضي صورا كاريكاتيرية تسخر من النبي محمد وتربط الاسلام بالارهاب. وكذلك جعل الحديث المثير للجدل للبابا بندكت السادس عشر في أيلول الماضي المسيحيين هدفا.

وفي منتصف تشرين الثاني، ادى انفجار قنبلة في منطقة اشورية في الموصل الى قتل تسعة اشخاص، وكذلك تم اختطاف القس السرياني بولس اسكندر وقطع رأسه من قبل مجموعة مسلحة.

وطلب خاطفو القس فدية مقدارها 25 ألف دولار مع اعتذارمن كنيسته عن التصريحات التي ادلى بها البابا، وذلك بحسب وكالة الانباء الاشورية الدولية. الا انهم قتلوه بعد يومين من اختطافه. واثار قتله موجة من الهلع بين مسيحيي الموصل.

ولم تنخفض وتيرة العنف منذ الاغتيال المروع لاسكندر.

ففي شهر حزيران وبعد الانتهاء من قداس الاحد، تم اغتيال الاب رغيد غني القس الكاثوليكي لكنيسة الروح المقدسة مع ثلاثة من مساعديه الشماسين. وتم تهديد غني وتفجير الكنيسة قبل الهجوم عليه.

وتم قتل الاربعة بعد ايقاف سيارتهم من قبل مسلحين. ثم قام المسلحون بوضع متفجرات في السيارة حيث استغرق وصول فرق تفكيك المتفجرات ساعات قبل اطفاء مفعول المتفجرات.

وقليلا ما يتم نشر اخبار قتل وتهديد وخطف المسيحيين رغم تكرر حدوثها اليومي. ويتابع تجمع آشور الوطني العنف الذي يمارس ضد المسيحيين الاشوريين في العراق وكذلك حصيلة القتل واعمال العنف الاخرى التي تحدث يوميا وكثرة عمليات الخطف التي تستهدف مسيحيي الموصل.

ويتم خطف الكثير من المسيحيين من اجل المطالبة بالفدية لانهم رجال اعمال ناجحون بالرغم من ان الكثير منهم قد اغلقوا متاجرهم في الموصل منذ 2003.

وفي احدى الحوادث التي حصلت الشهر الماضي، افاد المجلس بان داود قرياقوس هرمز فرفاش، والد لخمسة ابناء، قد تم اختطافه مع سيارته في منطقة التحرير بالموصل.

وفي وقت سابق من هذا العام كان داود قد اختطف في نفس المكان وتم اطلاق سراحه بعد ان دفعت عائلته فدية مقدارها 3.5 مليون دينار عراقي اي ما يعادل 2800 دولار اميركي.

واقعدت الهجمات المتكررة على الكنائس ورجال الدين المسيحيين الكثير منهم عن ممارسة اعمالهم.

وبحسب لجنة الدفاع عن حقوق الانسان فإن في الموصل 23 كنيسة اغلقت الكثير منها ابوابها وصار المسيحيون يمارسون طقوسهم الدينية في الخفاء.

وقال رجل اعمال من الموصل (35 عاما) رفض الكشف عن اسمه "الحياة في زمن صدام كانت افضل. كنت اخرج الى المجتمع بكامل الاحترام، وهذا ما لا استطيعه الان، في الماضي كان هناك قانون ونظام، ام الان فلا شيء يوقف المجرمين والمتطرفين".

ويعيش هذا الرجل، الذي قضى كل حياته في الموصل، في حي يشكل المسيحيون الاقلية فيه ويقول ان اغلب اصدقائه هم من المسلمين. وترك اخوه الموصل بعد اختطاف ولده وبعد تعرضه هو الى تهديد في وقت سابق من هذا العام.

ولم يستطع العنف انهاء التاريخ الطويل من التعايش الديني والعرقي في الموصل.

وقال سالم عبد الواحد، معلم مسلم من الموصل "انا واصدقائي وزملائي نتألم كثيرا عند سماعنا نبأ اغتيال مسيحي كما لو كان مسلما".

وقال كساب ولجنة الدفاع عن حقوق المسيحيين "ان المشكلة الامنية تنشأ من ضعف سيطرة الحكومة على المحافظة ككل وعلى الموصل بشكل خاص".

واضاف كساب "ان المحافظة تعيش حالة من الفوضى بحيث لا يعرف من يهاجم من ولماذا؟؟".

واضاف "قد يكون المسيحيون مستهدفين من قبل المتطرفين الاسلاميين بشكل خاص، لكن هناك ايضا العصابات الاجرامية او المليشيات المرتبطة بالاحزاب السياسية تقوم باستهداف المسيحيين ايضا".

وتحدث كساب قائلا "كل واحد يمكن ان يطاله العنف" واضاف بان قوات الامن "لا يمكنها عمل شيء لانها لا تستطيع توفير الامن والحماية بشكل جيد لعامة الناس. فكيف يكون بامكانها حماية الاقلية في المجتمع؟".

واستطرد قائلا ان قوات الامن "مشغولة بتوفير الحماية لنفسها ولمؤسساتها. ومن الصعب توفير الحماية لكل شخص في تلك المنطقة وهم لا يملكون الموارد ايضا".

ويقول ميخائيل يوشا مدير برنامج دعم الديمقراطية الذي مقره في واشنطن والذي يقوم بالدفاع بالنيابة عن الاقليات الدينية العراقية بان الولايات المتحدة لم تعمل ما يكفي للدفاع عن حقوق الاقليات في العراق رغم ان الكثير من الجماعات الدينية الصغيرة قد ساندت الاطاحة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين التي تمت بقيادة اميركا.

واضاف "لقد اعلنت اميركا بما لا يقبل مجالا للشك بانها لا تريد ان ترفع اصبعا واحدا فيما يخص هذه القضية".

وهرب المسيحيون من الموصل ومن اجزاء اخرى من بغداد على شكل مجاميع الى ارياف نينوى التي يعتبرها الكثير من الاشوريين بانها موطنهم الاصلي.

وهناك مجاميع من الاقليات الاخرى مثل التركمان، اليزيدية، والشبك يعيشون في المنطقة التي تتالف من تلكيف، الحمدانية، والشيخان الى الجنوب الشرقي، وشرق وشمال الموصل.

وتحادد تلك المنطقة محافظات دهوك واربيل في كردستان العراق.

وقال يوشا "ريف نينوى هو واحة من الامان، والسبب الرئيس هو ان المجاميع تعرف بعضها البعض. حتى مع الواصلين الجدد، هناك رغبة للتعرف على بعضهم".

وخلال الشهور الخمسة الماضية، بلغ عدد المهجرين في الداخل الباحثين عن مأوى لهم في ارياف نينوى عشرة آلاف عائلة بينها ألف عائلة من الشبك.

وفي الموصل هناك اكثر من 90 ألف عائلة مهجرة وهو ثاني اكبر عدد لأي محافظة في البلاد، وذلك بحسب التقرير الصادر في حزيران عن منظمة الهجرة العالمية.

وبقيت المساحات الزراعية الكبيرة هي الاماكن الامنة بالنسبة للمسيحيين والاقليات الاخرى. وتسيطر عليها حكومة اقليم كردستان والحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يسيطر على اربيل ودهوك.

ويقول الاشوريون ان الحكومة الكردية والحزب الديمقراطي الكردستاني قد مارسوا التميز ضدهم وصادروا اراضيهم ومنعوا الناخبين المسيحيين من حق التصويت في انتخابات عام 2005.

وتروم الحكومة الكردية ضم الكثير من سهل نينوى الى الاراضي التي تقع تحت ادارتها، الا ان الكثير من السكان يرغبون باقامة منطقة ادارية خاصة بهم هناك.

وقال ناشطون في حقوق الانسان "لا يوجد حل خاص للمسيحيين بالضرورة لان اي حل يحتاج الى مناقشة كل الجوانب السياسية والامنية والاقتصادية في العراق، الا ان المسيحيين يرغبون في اقليم يتمتع بالاستقلال الذاتي مع الشبك واليزيدية في سهل نينوى".

ويوافق يوشا على ذلك قائلا "هذا ما تحتمه الحاجة لانقاذ هؤلاء الناس".

ويستند المدافعون عن اقامة منطقة خاصة تديرها الاقليات في سهل نينوى الى فقرات من الدستور العراقي الذي يضمن الحقوق الادارية للاقليات مثل التركمان والكلدان الاشوريين.

واذا أقيمت مثل تلك المنطقة الخاصة التي تديرها الاقليات في نينوى، فانها ستجابه بقوة من قبل الاكراد وربما من قبل جماعات سياسية اخرى.

ولا يزال يوشا والاخرون من المدافعين الاشوريين يحاولون مع الاميركان لكسب تأييدهم للخطة وكسب المزيد من الاسناد لاقليم السهل. وشكل اكثر من 82 ألف اشوري يعيشون في اميركا كتلة مؤثرة.

وينظر مجلس الشيوخ الاميركي في مشروع منح 10 ملايين دولار لمساعدة الاقليات الدينية في سهل نينوى. وقد تم تمرير مشروع القرار.

ومالم يتمتعوا بالامن المدعوم من قبل حكومة قوية، فان المسيحيين في نينوى يخشون انهم سيختفون جميعا.

وقال افرام عبد الاحد، احد ساكني الموصل الذي خسر مطعمه الصغير وبعض افراد عائلته بسبب العنف ضد المسيحيين "معظمنا هاجر خارج البلاد وهذا يشكل قلقا كبيرا. نحن قلقون بشأن مستقبل المسيحيين في العراق".